

السُّنَّةُ وَأَهْلُ الْبَيْتِ

١ - في فضل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : توفي لصفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها ابن ، فبكت ، عليه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبكين يا عمة من توفي له ولد في الإسلام كان له بيت في الجنة يسكنه » فلما خرجت لقيها رجل ، فقال لها : إن قرابة محمد لن تغنى عنك من الله شيئاً ، فبكت فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتها ، ففزع من ذلك فخرج ، وكان صلى الله عليه وسلم مكرماً لها يبرها ويحبها ، فقال لها : يا عمة ، تبكين وقد قلت لك ما قلت ؟ قالت : ليس ذلك أبكاني وأخبرته بما قال الرجل ، فغضب صلى الله عليه وسلم ، وقال : « ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع إن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وإن رحمتي موصولة في الدنيا والآخرة ».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فتزوجت أم كلثوم لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وأحبيت أن يكون بيني وبينه نسب وسبب^(١) .

(١) لما خطب عمر بن الخطاب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة من أبيها على -

ومن مزيد فضلهم أن الله قد وكل بعض الملائكة بمعونتهم - وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر كان ينادى علياً، فرأى رجا تطحن في بيته، وليس معها أحد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: «يا أبا ذر أما علمت أن الله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد صلى الله عليه وسلم».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال:

كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم خادم تخلمهم يقال لها بريرة، فلقبها رجل، فقال لها: يا بريرة غطى شفيعاتك^(١)، فإن عمداً صلى الله عليه وسلم، لن يغنى عنك من الله شيئاً، قالت: فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج يجر رداءه، وكنا معشر الأنصار نعرف غضبه بجر رداءه وحمرة وجنتيه، فأخذنا السلاح ثم أتيناها فقلنا: يا رسول الله، مرنا بما شئت، والذي بعثك بالحق نبياً لو أمرتنا بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا لمضينا لقولك فيهم، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

= ابن أبي طالب فاعتل سيننا على بصغرها وبأنه حابسها لولد أخيه جعفر فالح عليه عمر ثم صعد المنبر، فقال: أيها الناس، والله ما حملني على الإلحاح على علي في ابنته إلا أن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: كل سبب ونسب وصهر يتقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي وصهري.

(١) الشفعة: النوبة.

« من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله.

قال: نعم، ولكن من أنا؟

قلنا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وسلم.

قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، وصاحب لواء الحمد ولا فخر، وفي ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ولا فخر، ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع، بل تنفع حتى تبلغ حكم وجاه^(٢) إن لأشفع فأشفع حتى أن من أشفع له ليشفع فيشفع حتى أن إبليس ليتناول طمعاً في الشفاعة^(٣).

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل بيته:

روى جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بعرفات وعلى تجاهه: «ادن مني يا علي، خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة».

وعن أبي بكر الصديق أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يأبها الناس

(٢) هم إحدى قبيلتين من اليمن - وقيل هما حيان من اليمن من رواه ومط بيبرين.

(٣) أخرجه ابن الجوزي.

أرقبوا محمدا في أهل بيته « أى احفظون فيهم فلا تؤذوهم.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم خيركم لأهلى من بعدى».

وأخرج ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «استوصوا بأهل بيتى خيرا فإن أخاصمكم عنهم غدا، ومن أكن خصمه أخصمه الله ومن أخصمه الله أدخله النار».

أهل البيت مكان الرأس من الجسد:

إن الواجب على المسلمين أن يجعلوا أهل بيت نبيهم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس، فيتمسكوا بأهدافهم ويأخذوا بأفعالهم، وأقوالهم، ولو أنهم حققوا ذلك لكانوا سادات الأمم وهداة الشعوب، ولكنهم ناصبواهم العدا، وأخروهم عن مراتبهم وأزالوهم عن مكانتهم، فأصبحت الأمة بالنكسات وحفت بها الخطوب والأخطار.

وعن أبي ذر: «اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس ولا تهتدى الرأس إلا بالعينين».

وصح أن بنت أبي هب لما هاجرت إلى المدينة، قيل لها: لن تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار - فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاشتد غضبه، ثم قال: «ما بال أقوام يؤذون

في بيتي وذوي رحمي ألا من أذى نسي وذوي رحمي، فقد آذاني،
ومن آذاني فقد آذى الله».

أساس الإسلام حب أهل البيت :

عما لا شك فيه أن المسلمين مسئولون أمام الله عن مودة أهل
البيت وعن حبهم ومن أظهر ألوان الحب الأخذ بأقوالهم والافتداء
بهم في جميع المجالات.

أخرج البخاري في تاريخه عن الحسن بن عليّ عليهما السلام
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء أساس
وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحب أهل بيته ».

وأخرج الديلمي عن عليّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي
وأصحابي ».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل
عن أربع : عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله
فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وعن محبته أهل البيت ».

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدبوا أولادكم على

ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حمة القرآن في ظل من أنبيائه وأصفيائه.»

وأخرج الديلمي عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، المكرم لذريتي والقاضي لهم الحوائج والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه.»

الاقتداء بأهل البيت:

قال صلى الله عليه وسلم: «من سرّه أن يمحا حياتي، ويموت عماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتى، لا أنا لهم الله شفيعتي.»

أهل البيت لا يقاس أحد بهم:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد.»

الحث على حب أهل البيت والزجر عن بغضهم:

أشاد القرآن الكريم بفضل أهل البيت، كما احتق بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرنهم بمحکم الكتاب، ونطق كتاب الله

العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بفضل أهل البيت وسمو مكانهم عند الله فواجب كل مسلم التفانى فى حب أهل البيت.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم ، وأن يهدى ضالتكم ، وأن يعلم جاهلكم ، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجباء رحماء فلو أن رجلاً صف بين الركن والمقام فصلى وصام ، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار .»

وسنده عن أبى عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوا حب الله ، وأحبوا أهل بيتي الحبي .»

وسنده عن أبى سعيد الخدرى ، وصححه على شرط مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار ، وفي رواية : إلا أكبه الله فى النار .»

وعنه أيضاً أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « اشتد غضب الله على من أذانى فى عترتي .»

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لا يجنبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي » .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبغض أهل البيت فهو منافق » .

وعن عليّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال^(١) » .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ، لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة أو من شجر الزقوم ، وحتى يرى ملك الموت ويرانى ويرى علياً وفاطمة والحسن والحسين ، فإن كان يجنبنا قلت : يا ملك الموت ارفق به فإنه كان يحبى وأهل بيتى ، وإن كان يبغضنى وبغض أهل بيتى قلت : يا ملك الموت شدّد عليه فإنه كان يبغضنى وبغض أهل بيتى ، لا يجنبنا إلا مؤمن ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي » .

وأخرج الطبرانى عن الحسن بن عليّ عليها السلام أنه قال لمعاوية ابن خديج : يامعاوية بن خديج : إياك وبغضنا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبغضنا أحد ، ولا يحسدنا أحد

(١) قال ابن حجر : كفاهم أن يكثروا ما لهم فيطول حسابهم ، وإن تكثروا عيالهم فتكثروا

إلا زيل يوم القيامة عن الحوض بسات من نار».

وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول : لو كان لى مدخل فى العصية مع قتلة الحسين بن على وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقع بصره على فى الجنة.

ولما ضرب جعفر بن سليمان مالكا رضى الله عنه، غشى على مالك فدخل عليه الناس، فلما أفاق قال لهم : أشهدكم أنى قد جعلت ضارى فى حل، فقيل : لم ؟ فقال : خفت أن أموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحى أن يدخل أحد من آله النار بسببى، فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه، فقال الإمام مالك رضى الله عنه : أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى إلا وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولأبى حسن بن جبير، حمد الله :

وحب النبى المصطفى وابن عمه على وسبطيه وفاطمة الزهرا
 هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجبا زهرا
 موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنى الذخائر فى الأخرى
 وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإنى أرى البغضاء فى حقهم كفرأ

هم جاهدوا في الله حق جهاده وهم نصرنا دين الهدى بالظبا نصرنا عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملا الأعلى وأكرم به ذكرا

الرسول أول من يشفع لآل البيت يوم القيامة :

عن ابن عمر، رضى الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) : « أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي، أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتبعتني من أهل اليمن ثم سائر العرب، ثم الأعاجم ».

وفي خبر عنه صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم، عندما اضطروا إليه، والحب لهم بقلبه ولسانه ».

وأخرج الخطيب في تاريخه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفيعي لأمتي من أحب أهل بيتي ».

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضى الله عنها قال : قال رسول

(١) ولا يتناقض بين هذا وبين ما رواه البيهقي والطبراني وغيرهما « أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف، فإن هذا ترتيب من حيث البلدان، وذلك من حيث القبائل، فيحتمل أن المراد البداية في قريش بأهل المدينة، ثم مكة، ثم الطائف، وكذا في الأنصار من بعدهم.

الله صلى الله عليه وسلم : « أول من أشفع له من أمتى أهل بيتي » .

أهل البيت مثل سفينة نوح :

حديث السفينة وباب حطة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم :
مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تأخر عنها
هلك، أو من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق، أو من دخلها
نجا ومن تخلف عنها هلك.

وقال ابن حجر في الصواعق : جاء من طرق عديدة يقوى
بعضها بعضاً : وإنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها
نجا. وفي رواية مسلم : ومن تخلف عنها غرق. وفي رواية : هلك.
وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله
غفر له. وفي رواية : غفر له الذنوب.

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن حنش الكنانى : سمعت
أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة : من عرفنى فأنا من عرفم،
ومن أنكرنى فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف
عنها غرق » .

وتمثيلهم بسفينة نوح صريح في وجوب اتباعهم والافتداء بأقوالهم

وأفعالهم، وحرمة اتباع من خالفهم، وأى عبارة أبلغ في الدلالة على ذلك من قوله: من ركبها نجبا ومن تخلف عنها هلك أو غرق، فكما أن كل من ركب مع نوح في سفينة نجبا من الغرق، ومن لم يركب غرق وهلك، فكذلك كل من اتبع أهل البيت أصاب الحق ونجا من سخط الله وفاز برضوانه، ومن خالفهم هلك ووقع في سخط الله وعذابه، وذلك دليل عصمتهم وإلا لما كان كل متبع لهم ناجيا وكل مخالف لهم هالكا، وهذا عام مخصوص كما سيجيء في حديث الثقلين. وليس المراد به إلا أئمة أهل البيت الذين وقع الاتفاق على تفضيلهم، واشتهروا بالعلم والفضل والزهد والورع والعبادة، واتفقت الأمة على عدم عصمة غيرهم، وغير المعصوم لا يكون متبعا ناجيا، ومخالفه هالكا على كل حال، ولا يقصر عنه في الدلالة خبر تسميتهم ببياب حطة الدال على أن النجاة في اتباعهم والخلاص من الذنوب والمعاصي بالأخذ بطريقتهم.

وفي بيان هذا الحديث أيضاً يقول الإمام شرف الدين: «وأنت تعلم أن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح، أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجبا من عذاب النار، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله غير أن ذلك غرق في الماء وهذا في الحميم والعياذ بالله.

والوجه في تشبيههم عليهم السلام ببياب حطة، هو أن الله

تعالى جعل ذلك الباب مظهرًا من مظاهر التواضع لجلاله والخنوع لحكمه، وهذا كان سببًا للمغفرة. وهذا وجه الشبه، وقد حاول ابن حجر إذ قال بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها.

« ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكرًا لنعمة مشرفهم، وأخذ يهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان » إلى أن قال: « ويباب حطة - يعنى ووجه تشبيههم بيباب حطة - أن الله جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببًا للمغفرة، وجعل هذه الأمة مودة أهل البيت سببًا لها ».

وجوب محبة أهل البيت وإكرامهم وتوقيرهم والتمسك بهم :
 حب آل البيت فرض على كل مؤمن؛ لأنهم شجرة النبوّة، ومحنة الرسالة، ومنبع الرحمة، ومعدن العلم، وهم ينابيع الحكمة، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، ناصرهم ومحهم ينتظر رحمة الله ونفحاته، وعدوهم ومبغضهم يستقبل نقمة الله وسطواته، بهم هدايتنا من الظلماء، وهم موضع سر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وملجأ أمره ومؤمل كلمه، فهم أساس الدين، وعماد اليقين.

وإكرام أهل البيت واجب تعظيماً للرسول عليه الصلاة والسلام، وعن أنس قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ أقبل على فسلم، ثم وقف، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في وجوه الصحابة أيهم يفسح له، وكان أبو بكر رضى الله عنه عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزحج عن مجلسه قال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر، فعرف البشر في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أبا بكر، إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل».

وفي المناقب عن هشام بن حسان، قال: خطب الحسن بن علي رضى الله عنه بعد بيعة الناس له بالأمر فقال: «نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته الطيبون، ونحن أحد الثقلين اللذين خلفهما جدى صلى الله عليه وسلم في أمته، ونحن ثانی كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فالمعول علينا في تفسيره، ولا تظني تأويله، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذا كانت بطاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله مقرونة، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

وعنه أيضاً قال: «نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالى المسلمين. ونحن أمان

لاهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، بنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منا لانساخت بأهلها».

ومن خطبة للإمام عليّ كرم الله وجهه يذكر فيها أهل البيت :
 «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منيته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ووعاته قليل».

ومن خطبه رضى الله عنه :

«فأين تذهبون وأن تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة والمنابر منصوبة، فأين يتاه بكم وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم وهم السنة الصديق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن».

أيها الناس، خذوها عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم أنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببالي، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة له عليكم».

ويقول رضى الله عنه :

« انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فإنهم يخرجون بكم إلى هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا ولا تستبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا».

وخطب رضى الله عنه بالمدينة بعد بيعة الناس فقال :

« ألا إن أبرار عترق وأطياب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، ألا وأنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمتنا، ومن قول الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم سمنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرهم، وإن لم تفعلوا يهلككم الله، ومعنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها محق، ألا وإن بنا يدرك كل مؤمن ثواب عمله، وبنا تخلع ريقة الذل من أعناقكم، وبنا فتح الله تعالى وبنا يحتم».

ويقول الإمام الشافعى فى حب أهل البيت :

يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو من لم يصل عليكم لاصلاة له
ولبعضهم :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحى وإنزال
مناقب فى الشورى وفى هل أن أنت وفى سورة الأحزاب يعرفها التالى

وهم آل بيت المصطفى فرضاهم على الناس مفروض بحكم وأسجال ويقول البوصيرى :

وهل حبكم للناس إلا عقيدة على أسها في الله تبنى القواعد
وإن اعتقاداً خالياً من محبة وردكم آل النبي لفساد
ومن قصيدة للصاحب بن عباد :

حب النبي وأهل البيت معتمدى إذا الخطوب أساءت رأيها فينا
يارب سهل زيارق مشاهدكم فإن روحى تهوى ذلك الطينا
يارب صير حياق فى محبتهم ومحشرى معهم آمين آمينا
ويقول الفرزدق فى قصيدته التى مدح بها زين العابدين على بن
الحسين رضى الله عنهما :

من معشر حبهم دين، وبغضهمو كفر، وقربهمو منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمو فى كل بدء ومختوم به الكلم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أمتهم أوقيل : من خير أهل الأرض قيل هم
يستدفع الشر والبلوى بمجهومو ويسترب به الإحسان والنعم

ويقول الشيخ أحمد الحلوانى الكبير :

هم الدين والدنيا العمرى همو همو فقل فيهم ماشئت لاتبرهن نكرا
بدور سمعت عن شمس أكرم مرسل أنارو دياجى الكون بالطلعة الغرا
وبالبر والتقوى وبالعلم والندى وبالذكر والفتوى والذكرى

ويقول دعبيل الخزاعي :

ملامك في أهل النبي فإنهم
تخيرتهم رشدًا لأمري فإنهم
فيارب زدني من يقيني بصيرة
أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي
على كل حال خيرة الخيرات
وزد حبهم يارب في حسناتي

ويقول الشاعر في مدح أهل البيت :

لال البيت عز لا يزول
وإجلال ومجد قد تسامى
وفي التنزيل بالتطهير خصوا
لهم عزم وسلطنة وجاه
سيوف في الأعدى فاتكات
بدور الدين بهم قد تجملت
زكوا أصلا بنسبتهم ولكن
وكيف القول في قوم أبوهم
معاذ الله أن أخشى نكالا

وفضل لا تحيط به العقول
وقدر ما لغايته وصول
ومدحتهم بها شهد الرسول
ودام لهم من الله القبول
وسطوتهم لها رعب مهول
تكاد الشمس من خجل تزول
يطيب الفرع ما طابت أصول
له جبريل في الدنيا رسول
ولى في حبهم باع طويل

حديث الثقلين^(١) :

وعن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا تارك

(١) أحاديث الثقلين التي رواها إجماع علماء أهل السنة وأكابر محدثيهم في صحاحهم بأسانيدهم المتعددة، وافق على روايتها الفريقان، فرواها مسلم والترمذي في صحيحهما، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والعللي في تفسيره، وابن المغازي الشافعي في المناقب، =

فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال : وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي؟ قال : هم من حرم الصدقة بعده، هم آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل عباس.

وفي رواية لمسلم : فقلنا : من أهل بيته نساؤه؟ قال : لا؛ لأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده، وسبق أن بينا ذلك.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن تارك فيكم الثقلين، وفي رواية خليفتين : أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

= وصاحب الجمع بين الصحاح الستة، والحميدية من أفراد مسلم، والمعاني و فضائل الصحابة، وموفق بن أحمد، والطبراني، وابن حجر في صواعقه وغيرهم، ورويت من طريق أهل البيت باثنين وثمانين طريقاً، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي، و ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري، وتفسير الخازن في تفسير آية الاعتصام، وتفسير ابن كثير في آية المودة، وفي تفسير آية التطهير، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وفي الحلية لأبي نعيم الأصفهاني، وأسند العابة لابن الأثير، والدر الثمالي للسيوطي، ولسان العرب لجمال الدين الأفریقی.

وفي رواية : وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفون فيها.

وفي رواية أخرى : إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى : الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترت أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وفي رواية أخرى : إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما، وهما كتاب الله، وعترت أهل بيتي فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلى منكم، وقد يكون هذا صريحاً في خروج النساء من أهل البيت واختصاصهم بعشيرته وعصبه وهو رأينا الذى انتبهنا إليه فى ختام هذا البحث، والله أعلم.

وحديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبوية، وأكثرها ذبوعاً، وقد اهتم العلماء به اهتماماً بالغاً لأنه يحمل جانباً مهماً من جوانب العقيدة الإسلامية، كما أنه من أظهر الأدلة التى تستند إليها الشيعة فى حصر الإمامية فى أهل البيت وفى عصمتهم من الأخطاء والأهواء، أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأهم بكتاب الله العزيز، الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، ومن الطبيعى أن صدور آية مخالفة لأحكام

الدين، تعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز، وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بعدم افتراقهما حتى يردا على الحوض، فدلالته على العصمة ظاهرة جلية، وقد كرر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث في مواقف كثيرة، لأنه يهدف إلى صيانة الأمة والمحافظة على استقامتها، وعدم انحرافها في المجالات العقائدية وغيرها، إن تمسكت بأهل البيت ولم تتقدم عليهم، ولم تتأخر عنهم.

ولو كان الخطأ يقع منهم، لما صح الأمر بالتمسك بهم الذي هو عبارة عن جعل أقوالهم وأفعالهم حجة، وفي أن التمسك بهم لا يضل كما لا يضل التمسك بالقرآن، ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان التمسك بهم يضل، وأن في اتباعهم الهدى والنور كما في القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال، وفي أنهم جبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن، وهو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وأن أقوالهم عن الله تعالى، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك، وفي أنهم لن يفارقوا القرآن، ولن يفارقهم مدة عمر الدنيا ولو أخطوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم، وفي عدم جواز مفارقتهم بأن يتقدم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم، أو يقصر عنهم، ويأتم بغيرهم كما لا يجوز التقدم على القرآن بالإفتاء بنير ما فيه، أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفه، وفي عدم جواز تعليمهم، ورد أقوالهم، ولو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم ولم ينه عن ردّ قولهم.

وقد دلت هذه الأحاديث أيضاً على أن منهم من هذه صفته في كل عصر وزمان، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وأن اللطيف الخبير أخبره بذلك، وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

ويتخذ أنصارهم أن أهل البيت هم الأئمة الإثنا عشر وأهمهم الزهراء هذا الحديث ليرجحوا رأيهم قائلين : إنه لا يمكن أن يراد بأهل البيت جميع بنى هاشم، بل هو من العام المخصوص بمن ثبت اختصاصهم بالفضل، والعلم، والزهد، والعفة، والنزاهة، من أئمة أهل البيت الطاهر وهم الأئمة الإثنا عشر، وأهمهم الزهراء البتول. يدللون على ذلك بالإجماع على عدم عصمة من عداهم، والوجدان أيضاً على خلاف ذلك لأن من عداهم من بنى هاشم، تصدر منهم الذنوب، ويجهلون كثيراً من الأحكام، ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن في الأمور المذكورة بل يتعين أن يكونوا لا كلهم وليس إلا من ذكرنا.